اشمون

موقع فينيقي فريد في لبنان

يقع مجمع «أشمون» الديني على بعد كيلومتر واحد من مدينة صيدا في بقعة شجراء اعطت الموقع اسمه، فكانت تعرف باسم «بستان الشيخ». وتكتسب زيارة معبد «أشمون» نكهة مميزة. فإذا زرته في الربيع وجدت المكان وقد عبقت فيه روائح زهر الليمون، واذا زرته في الخريف رأيته عامراً بالفاكهة الناضجة.

اقيم هذا المجمع الديني تكريماً لاله الشفاء الفينيقي «أشمون»، وما زال يمتاز عن سائر المواقع الفينيقية في لبنان بكونه قد احتفظ بأكثر من حجارة اساساته. فقد بدأ العمل فيه في نهايات القرن السابع ق.م. واستمرّ يحظى بالعناية خلال القرون التالية، فأضيفت اليه اجزاء ورممت فيه اجزاء اخرى،

منظر عام للموقع، من الجو

نقوش حجرية (افريز)

بحيث ان اقسامه العائدة الى العصر الفينيقي تكاد تضيع بين منشآت العصور اللاحقة، من الطريق الرومانية ذات الاروقة، الى الارضيات المرصوفة بالفسيفساء، الى السبيل الروماني الفخم، الى اساسات الكنيسة البيزنطية، وجميعها دلائل تشير الى مكانة الموقع المرموقة في اعين العباد على الرغم من اختلاف توجهاتهم الدينية.

تاريخ أشمون

تُحدثنا الاسطورة ان «أشمون» كان شاباً من أصل بيروتي وكان الصيد هوايته المفضلة. وفي احد الايام وقعت الإلاهة «عشتروت» في حبه، فما كان منه الا ان مال عن اغرائها، فجب نفسه ومات. ولما لم تستسلم الالاهة للقدر، اعادت حبيبها الى الحياة مسبغة عليه خصائص الالوهة... ويقال ايضاً ان بلدة «قبر شمون» الواقعة على مقربة من بيروت ما تزال تحتفظ حتى يومنا هذا بذكرى مدفن الاله الشاب.

كان «أشمون» في الاصل الاهاً للشفاء، غير ان قصة موته وقيامته جعلت منه الاهاً للخصوبة الكونية

والاهاً للخضرة التي تموت كل عام وتعود من بعد الحياة.

وبصفته ربّاً للشفاء، اندمجت شخصية «اشمون» الفينيقي بشخصية اله الطب الاغريقي – الروماني «اسكليبوس». ولما كان هذا الاخير على علاقة وثيقة بالثعابين التي كانت تربى في معابده وتلعب دورا في شفاء بعض الامراض، فقد استعمل رمز الثعبان الملتف حول العصا كرمز لفن الطبابة وما زال.

وقد عُثر على مقربة من معبد «أشمون» على ورقة من الذهب نقشت عليها صورة «أشمون» رب الشفاء، وهو يمسك بيده عصا يلتف حولها ثعبان، والى جانبه صورة «إيجيا» ربّة الصحّة. كما عثر على مسكوكات بيروتيّة من العهد الروماني تمثله واقفاً بين ثعبانين.

كان لكل مدينة ودويلة فينيقية آلهتها المختصين بها، وكان «اشمون» يحتل مركز الصدارة بين آلهة صيدا. فكان على الصيدونيين بالتالي ان يقيموا له معبداً في هذا الموقع بالذات، باعتباره واقعا على مقربة من نبع ماء، لا سيما وان الماء كان يلعب دوراً رئيسياً في طقوس الغسل المرتبطة بطقوس الشفاء. وكان من تقاليد المعبد المسلم بها في تلك الايام ان يقدم طالب الشفاء او من حظي بهذه النعمة تمثالا يحمل اسمه، فيضعه في المعبد كنذر او كعربون شكر لاله الذي منّ عليه بالشفاء. وقد عُثر على عدد كبير من هذه التماثيل في حرم المعبد، ومعظمها يمثل

كتابة فينيقية

طريق رومانية ذات اورقة

اطفالاً، مما يُشير الى اختصاص «أشمون» على ما يبدو بطبّ الاطفال.

كانت صيدا في العصر الفارسي، بين القرن السادس والقرن الرابع ق.م. ابرز مدن فينيقيا على الاطلاق وكانت تشتهر بعظمة ملوكها وثقافة اهلها وحسن صناعاتها، وكان ملوك الفرس يقدرون ملوكها ويغدقون عليهم الهدايا والعطايا بسبب اسهام الاسطول الصيدوني الفعال الى جانبهم في أثناء حروبهم ضد المصريين والاغريق.

في هذه الظروف المؤاتية اعتلى «أشمون عزر» الثاني ابن الملك «تبنيت» الاول عرش صيدا. وتفيدنا الكتابة المحفورة على ناووسه الذي تمّ اكتشافه في اواسط القرن الماضي والمحفوظ حاليا في متحف اللوفر في باريس، انه قام وأمّه «أمّة عشترت» ببناء عدة معابد تكريماً لآلهة صيدا، ومن بين هذه المعابد معبد هو أقاماه تكريماً للاله القدوس «أشمون» (عند نبع يدلل على مقربة من البركة).

غير ان هذا المعبد الذي تمّ التعرف عليه من خلال الحفريات التي اجريت في «بستان الشيخ» تهدم في اواسط القرن الرابع ق.م. وعلى الرغم من ان احدا لم يقدم على اعادة اعماره

بشكل كامل، فقد جرى ترميم بعض اقسامه ومقاماته وبرك مياهه على فترات متتالية، بحيث بقي المكان الذي كان يقوم فيه قبلة انظار الزوار والحجاج واصحاب النذور حتى نهاية القرن الثالث ميلادي.

الحفـــريات الاثريّة

طيلة قرون من الزمن كان موقع معبد «اشمون» بمثابة مقلع يستخرج من يشاء منه حجارة مقصوبة جاهزة للاستعمال. ففي غضون القرن السابع عشر مثلا عمد الامير «فخر الدين المعني» الثاني الى اقتلاع كميات من حجارته لاقامة جسر على نهر الأوّلي. وهو جسر لم يبق منه اليوم الا اساساته.

وفي عام ١٩٠٠ قامت بعثة اثرية تركية باكتشاف عدد من الكتابات الفينيقية في موقع المعبد الذي لم يكن محدد الهوية بعد. وبعد مضي عشرين سنة حُفر في الموقع عدد من الاسبارات المحدودة وتمكنت اعمال التنقيب التي تلتها عام ١٩٢٥-١٩٢٦ على مقربة من مجرى النهر من كشف ارضيّة مرصوفة بالفسيفساء تعود الى العصر الروماني اضافة الى عدد من التماثيل الرخامية التي تمثل اطفالا مرضى وتعود الى العصر المتأخر (نهاية القرن الرابع حتى القرن الاول ق.م.) كما عُثر بُعيد ذلك على كتابة فينيقية اخرى تحمل اسم «أشمون».

الوجه الايسر من "مرتبة اشمون" (المتحف الوطني)

منظر عام لحفريات عمرانية مختلفة

وعلى بعد بضعة كيلومترات من الموقع تم العثور على مجموعة من الكتابات الفينيقية التي تحمل اسم الملك «عبد عشترت» والتي كان قد جرى ردمها في تلك الايام بمناسبة انشاء شبكة رئيسية لجرّ المياه الى المعبد.

زيـــارة الموقع

ما من شك في ان بقايا المعبد الكبير تشكل اكثر البقايا الاثرية المكتشفة في موقع «اشمون» وقعاً في النفوس (رقم ١-٩ من المخطط المرفق). ويمكن تكوين فكرة اجمالية عن هذا المجمع الديني الفريد من خلال تسلق الدرج الروماني المرصوف بالفسيفساء (١٣).

يتمّ الدخول الى المعبد عبر الطريق الاحتفالية الرومانية ذات الاروقة المعومدة (١٠) ومن ثم عبر الدرج (١٣).

مصطبة العصر البابلي (١)

يتمثل القسم الاقدم من مجمع «أشمون» الديني ببقايا بُنية هرمية الشكل، لم يبق منها الا بعض الدرجات وأحد الجدران (١)، وهي بُنية تعود الى القرن السادس ق.م. اي الى تلك الفترة التي كانت فيها صيدا خاضعة للنفوذ السياسي والثقافي البابلي.

عرش عشتروت ذي الأسود المجنحة

مصطبة العصر الفارسي (٢)

تشكل هذه المصطبة العمائرية (٢) جزءا من المعبد الذي اقامه «اشمون عزر» في غضون القرن الخامس ق.م. والتي وسّعها الملك «عبد عشترت» كما تدل على ذلك بعض الكتابات التي تحمل اسمه والتي ما تزال قائمة في جدارها الداعم.

مزاران صغيران (١٢)

إنهما موجودان داخل باحة المعبد وقد وضع عليهما يوماً تاج عمود كبير من الرخام يعود للحقبة الفارسيّة، وقد حُفرت على جوانبه أربعة مقدمات ثيران وهو الان معروض في المتحف الوطني في بيروت.

نظام جر المياه والبرك (٣)

اما المياه اللازمة لإقامة الشعائر الدينية، فقد تم ايصالها من النبع الى المعبد عبر نظام جر مدروس، بحيث كانت تجمع في سلسلة من البرك التي كانت تستعمل لطقوس الوضوء او الغسل او تغطيس المرضى (٤–٥–٩–١١).

معبد القرن الثالث (٧) وبركة عشتروت (٨)

الى جانب المعبد الكبير هناك معبد آخر اضيف الى

مخطط الموقع: أسعد سيف

مخطط موقع أشمون:

١–مصطبة العصر البابلي (القرن السادس ق.م.)
٢–مصطبة العصر الفارسي (القرن الخامس ق.م.)
٣–نظام جر المياه والبرك
٤–بركة غسل
٥–برك غسل
٦–بنية عزّ فيها على مرتبة رخامية
٧–معبد القرن الثالث قبل الميلاد
٨–بركة وعرش عشتروت
٩–مدرّج وبركة غسل
١٠–طريق رومانية
١١–برك غسل
١٢–مقامين
١٣–درج
١٤–فسيفساء الفصول الأربعة(القرن الثالث ميلادي
١٥–سيل ماء
١٦–كنيسة بيزنطية
١٧–بقايا أبنية سكنية

المجمع في القرن الثالث ق.م. و لم يبق منه الا افريز حفرت عليه مشاهد طقسية ومشاهد صيد واخرى تمثل اطفالا يلهون (٧) وعلى مقربة من زاوية هذا المعبد الشمالية الغربية بقايا مقام مكرس للالاهة «عشتروت» يعود الى الفترة المتأغرقة عينها (٨).

ويرى الزائر داخل هذه البُنية المربعة الشكل تقريبا (١١م ×١٠م) عرشاً حجرياً يحيط به اسدان مجنحان وهو موضوع على مكعب من الحجر زيّن حده العلوي بإفريز على النمط المصري، والعرش هذا من النوع الذي يُعرف باسم «عرش عشتروت». وخلف العرش، افريز حفرت عليه مشاهد صيد.

على مقربة من المكان قاعة مرصوفة بالفسيفساء يقوم على حراستها اسدان مجنّحان آخران، كُسر رأساهما، وقد اضيفت الى المجمّع عام ٣٣٥ ب.م.

والى الشمال الغربي من البركة المتاخمة لـ «عرش عشتروت» افريز آخر يبلغ طوله ٢٢ متراً وقد حفرت عليه مشاهد ممثّل اشخاصاً ثمالى ومشهداً آخر يمثّل شخصاً يهمّ بالتقاط ديك كبير. ولا بدّ من الاشارة الى ان التضحية بالديكة كانت من بين طقوس عبادة «أشمون».

الطريق الرومانية (١٠) وبركة الماء (١١)

بقي موقع «أشمون» في العصر الروماني والعصور المسيحية الاولى (٦٤ ق.م. ٣٣٠ – ب.م.) قبلة انظار الحجّاج. والى

قسم من فسيفساء "الفصول الأربعة"

تاج عمود من العصر الفارسي (المتحف الوطني)

تلك الفترة يعود انشاء الطريق الاحتفاليّة الرومانية ذات الاروقة المعمودة الواقعة قبالة المعبد (١٠) وعدد من البرك وسبيل الماء الفخم الذي لم يبق منه الا بعض الارضيّات المرصوفة بالفسيفساء (١٥) وبعض التماثيل التي كانت تزيّن مشكاواته.

باحة الفسيفساء (١٤) والكنيسة البيزنطية (١٦)

والى يسار السالك في الطريق الاحتفاليّة باحة فسيحة ذات أرضيّة من الفسيفساء تمثل الفصول الأربعة (١٤). فيما تقع الكنيسة البيزنطيّة الى اقصى الغرب من المجمّع (١٦) وتمثّل آخر فترة من فترات تاريخ المعبد. والى الجهة الشمالية من الموقع بعض الاطلال التي تشير الى وجود منطقة سكنية تركزت في الموقع في العصر البيزنطي.

لبنان ـ وزارة السياحة
٥٥٠ شارع مصرف لبنان، ص.ب. ٥٣٤٤/١١، بيروت ـ لبنان
هاتف: ٩٦١-١-٣٤٠٩٤٠/١/٢/٣/٤ ـ فاكس: ٩٦١ ١ ٣٤٠٩٤٥
الخط الساخن: ١٧٣٥
العنوان الكتروني: Web site: www.destinationlebanon.gov.lb
البريد الكتروني: E-Mail: mot@lebanon-tourism.gov.lb
© الحقوق محفوظة لوزارة السياحة ـ لبنان
النص العربي : د. حسان سلامه سركيس
تنسيق: زينة حداد
يوزّع مجاناً

Designed & Printed by Chemaly s.a.l. 2006

لبنان
أشمون

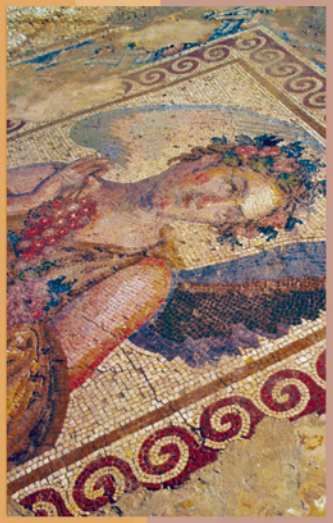

لبنان
وزارة السياحة